الزهريات

للدكتور أحمد موسى

هى أوعية وأوان تسمى مشكاة يقابلها باللاتينية Vasa ، ليست لها فائدة عملية تذكر بالقياس إلى قيمتها الفنية لطالبى الفن واللغوية لطالبى اللغة الإغريقية وتطورها . ومع ضآلة فائدتها العملية فإنها من أهم ما عنيت بصنعه الشعوب المتحضرة بغية تجميل الحجرات أو الحدائق ، سواء وضعت فيها الأزاهير أو لم توضع .

وعملت كليات للأعمدة وحيناً آخر وضعت إلى جانب القبور ، وكانت من الطين المحروق أو الصينى أو الزجاج ، كما أنها صنعت من الرخام أو المرمر أو من حجر الألباستر أو من المعدن .

ولا يعنينا من أنواع الزهريات فى هذا المقال سوى النوع الإغريقى الكلاسيكى بالنظر إلى المستوى الفنى العظيم الذى بلغه الأغارقة فى كل ما تناولوه .

ولا تعرف الدراسات الفنية هذه الزهريات إلا فى فجر القرن القرن الثامن عشر عند ما بدأ ظهورها بين المخلفات الأثرية بكثرة لفتت النظر إليها والعناية بها ، فكانت منذ ذلك الوقت موضع الدرس والتأريخ ، لما حوته من مصورات عجيبة فائقة فى الدقة والجمال ، فضلا عما تناولته هذه المصورات من إيضاح النواحى القصصية والاجتماعية والدينية والتاريخية إلى حد مثير للكل إعجاب وتقدير ، وكانت بذلك أشبه شىء بسجل حافل للكل راغب متأمل .

وتنوعت أشكالها تنوعاً كبيراً ولكنها لم تخرج أبداً على رشاقة التكوين الكلى ، على أن العناية بحجمها من الناحية الفنية كانت متأخرة عن فائدتها من الناحية التوضيحية للقصة وللحياة الإغريقية كما سيبن التالى .

وإذا كان تاريخ الفن لم يعرف هذه الزهريات إلا منذ فجر القرن الثامن عشر ؛ فإن دراستها وتبويبها من حيث التكوين الكلى والشكل ولون أرضيتها ولون المصورات التى رسمت عليها ، والمدارس الفنية التى عملت فيها لم يبدأ بصفة جامعة إلا منذ منتصف القرن التاسع عشر عند ما توافرت أسباب الدرس والفحص بتوافر العدد الوجود من كل نوع منها

وأقدم الزهريات الكلاسيكية جميعاً عثر عليه فى طبقات أرض تروبا Troya (Ilium) وهى المدينة القديمة فى آسيا الصغرى (منطقة الدردنيل) حيث قامت الحرب سجالا بين الأمير مينيلاوس لاسترداد زوجته وبين باريس الذى اختطفها لنفسه ، كما تتضح أخبارها فى إلياذة هوميروس .

من ميكينا

من العصر الرومانى
فى وادى الراين (جرمانيا)

وكانت هذه الزهريات معمولة بيد الإغريقى دون الاستعانة بقرص الإدارة الذى يستعملونه حتى اليوم فى صناعة الأوانى الفخارية ، كما أنها كانت من الطين المحروق دون تلوين ، ذات شكل كروى أو أقرب ما يكون إليه ، يعلوه عنق أو رقبة اسطوانية غالباً ، كما برز من جانبين منها إصبعان مثقوبان للاستعانة بهما فى رفعها وفى تثبيتها إلى المكان الذى تعلق فيه من حبل مار بالثقبين المذكورين بدلا من القبضين اللذين جاءا فى الزهريات المتأخرة (ش ١) .

وكانت زخارفها فى أول الأمر بسيطة لا تخرج عن خطوط حفرت حفراً على سطحها الخارجى حيناً ، أو ألصقت بها قطع من العاج صغيرة للغرض نفسه حيناً آخر (ش ١) .

وأبسط أشكالها على هيئة كرة ذات عنق غاية فى القصر بالقياس إلى ارتفاع البدن الكروى ، زودت برسوم بارزة لحيوان أو إنسان أو زخرف من نبات (انظر الستة الأشكال التالية) .

وكان هذا النوع الجدير بالدراسة كثير الصنع فى قبرص وله أشباه فى سوريا وتيرينز Tiryns فى أرجوليس التى تخربت فى عام ٤٦٨ ق . م .

ووجدت منها أنواع قديمة يرجع تاريخها إلى نحو عام ٢٠٠٠ ق . م ، ومن العجيب أن هذه مع قدمها صنعت بواسطة القرص الدائر ، علاوة على أنها كانت مزودة بنقوش ملونة بألوان غير لامعة ، وهى بهذه الصفة تشـــبه نظائرها مما وجد فى ميكينا Mycenae .

وللتفرقة بين هذه الأنواع « الكلاسيكية » قديمها والجديد ، نجد أن أبرز الفوارق يتلخص فى أن القديمة كانت رسومها غير لامعة matt ، أما الجديدة منها (١٥٠٠ ق . م) فإنها قد تميزت بمـــا ظل مميزاً لكل الزهريات ومصنوعات الفخار Ceramics الإغريقية بصفة عامة ، ألا وهو استخدام الألوان المشتملة على الورنيش فى تركيبها Varnish—colours

وكانت الألوان رقيقة صافية نقية على سطح أملس ذى لون مائل إلى الصفرة ، بحيث يصبح اللون الزاهى والأسود الداكن على أكمل وجه من الإنسجام .

والأشكال الخارجية للزهريات الكلاسيكية الإغريقية عديدة ، لم يميز مرحلتها الأولى عن سواها إلا الشكل المقوس على مقبضين جانبيين مقوسين .

وأخذت الزخارف شكل خطوط متوازنة فى اتجاهات مختلفة ومتقاطعة ، وشغلت جزءاً محدوداً من سطحها حيناً ، وحيناً آخر شغلت معظم ذلك السطح ، إلى جانب الوحدة الزخرفية المكونة من « الحلزونة » المحببة إلى نفوس الإغريق .

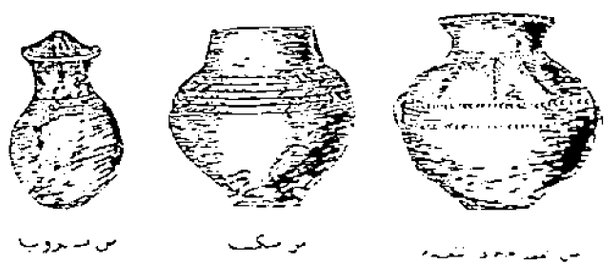

من كنوسوس — من ميكينا — من قبرص

وكذلك وحدات حيانية بديعة للزهر الملتف حول سيقانه ، وزهور الماء ، والخطوط التى تسير فى شكل موجات وأشكال أسماك وحوم بحرية وأشكال مرجانية وصدفية من مختلف الأنواع .

وانتشر هذا الطراز من الزهريات فى مناطق عديدة نذكر منها على وجه التخصيص منطقة ميكينا والساحل الشرقى لبلاد الإغريق والجزر الإيجية وجزيرة رودس كريت . وهـذه كلها يرجع تاريخ الزهريات فيها إلى نحو عام ١٥٠٠ ق . م كما سبق التنويه

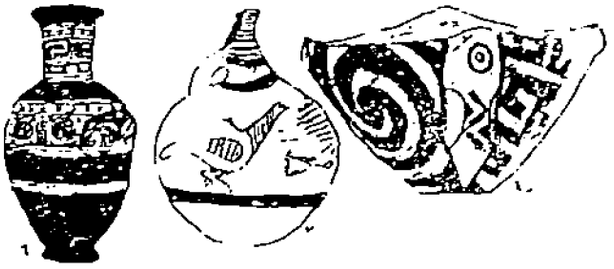

(١) من تاليا (العصر الحجرى) (٢) أبريق من ميكينا — الرسم غير لامع (٣) طراز الرسوم الهندسية

وهناك نوع اشتهر باسم الزهريات الديبلونية نسبة إلى المكان الذى وُجدت فيه عند أثينا Dipylon وكانت هذه أقل قيمة من ناحية الصنعة والزخرفة الفنية بالقياس إلى تلك التى وجدت فى ميكينا ، ذلك لأن الفخار الذى صنعت منه كان أكثر خشونة

(٤) من كريت (٥) من كنوسوس (٦) طراز ميكينى متأخر (من رودس)

وسطحه أكثر احمراراً ، وعملت الوحدات الزخرفية بألوان حمراء بُنّية مضافة إلى الورنيش المخفف ، كما أنها بلغت حجماً كبيراً فى كثير من الأحيان ، وقد أحاطت بها الزخارف أشبه شئ بحزام التف حولها ، وتكونت من خطوط متقطعة أو متصلة وخطوط متكسرة ومجموعات من النقط ودوائر داخل بعضها فى البعض أو حلزونية التصميم ، أما صور الحيوان أو الطير فقد رسمت فى المناطق الأربعة الشكل الخالية من الزخارف . وكانت الصور فى مجموعها غاية فى البساطة ؛ خلت الزهريات جافة المظهر لا حياة فيها ، على أنها من ناحية تاريخ الفن ذات قيمة لا تنكر لأنها استغرقت المرحلة الزمنية بين الزحف الدورى (١١٠٤ ق م)

وبين القرن السابع قبل الميلاد ، وهي بهذا تعتبر الأساس الأول الذي أقيم عليه فن عظيم خالد .

وجاءت الزهريات القبرصية متميزة على الأثينية بنعومة الطين المصنوعة منه ، سطحها ذو لون أصفر فاتح ، رسمت عليها الصورات بألوان الأسود البني والأبيض والأحمر ، لبيان الزهور الخيالية والورود الابتكارية التي تعتبر أسلوباً زخرفياً جديداً يسجل الأثر الشرقي والاقتباس من الشرق !

وإذا كانت الزهريات القبرصية قد حملت الأثر الشرقي ؛ فإن الزهريات الرودسية (نسبة إلى رودس) تظهر في وضوح ، المهارة التي تجلت من خلال رسوم الأجسام المختلفة والتي تبين الاتجاه الفني عند الإغريق ، وذلك بتأمل الطريقة التي اتبعوها في ملء الفراغ بما لا يتنافى مع إظهار الصور في أروع أسلوب ممكن برغم قيود الشكل التكويني ؛ فنجد أن بدن الزهرية قد قسم في مهارة إلى أقسام تفصل بينها خطوط ، وتشغل مساحاتها مجموعات من صور حيوانات منها على وجه التخصيص الوعل والماعز الوحشي والأسد واقفاً أو رابضاً كأبي الهول Spxinh . وملئت الفراغات بزخارف وحداتها من براعم الزهر أو من أشكال هندسية كالدوائر الحلزونية وغيرها مما يشابه إلى حد كبير الزخارف التي كانت عند الميكينيين .

وتطور النشاط الفني إلى اقتباس المعاني من إلياذة هوميروس والتعبير عنها بالصور التي رسموها على الزهريات ، وقد وجدت أسماء المصورين في ركن منها ، وأصبحت كتابة الأسماء هي القاعدة فيما بعد ، فلا ترى زهرية دون اسم مصدرها إلا فيما ندر .

وكان من الطبيعي أن يصبح اسم المصور لازماً للمؤرخ الذي يريد تبويب الزهريات تمهيداً لترميمها ، فضلا عن أنها أظهرت من ناحية أخرى تطور الحروف الأبجدية الإغريقية .

وصادفت الزهريات الرودسية بالمقارنة بغيرها من الأنواع ذيوعاً وانتشاراً في القرنين السابع والسادس ق . م . في البلدان ساحل آسيا الصغرى وفي الجزر المجاورة ، فازدهرت صناعتها وذاع صيتها وامتد سلطانها نحو الغرب حتى بلغ وسط إيطاليا (أتروريا أو توسكانا) ، وهذا دليل قوي على ما بلغته من المستوى الفني ، سواء من حيث أحجامها أو من حيث مادة صناعتها أو التفنن في زخرفتها ، مما سيكون أكثر وضوحاً وأسهل تناولا في المقال التالي .

أحمد موسى

موعـــد . . .

للأديب محمد محمد علي السوداني

إذا ما الروض ناجاني بأنفاس الصبير ضحى
وغنـــاني ربيب الرو ض صوتاً ناعماً فرحاً
وهاـــل خاطري للطيـــر يقفز فانتشـــاً مرحاً
بكى جفني بكى قلبي بكى روحي لرؤياك

***

إذا ما النيم رف على شعاع البدر ثم جرى
سريع الخطو لا يدري إلام يواصل السفرا
وفاض النور من أبها ئه في الأرض وانتشرا
مشت أحلامي الولهى تطوّف حول مثواك

***

تعالى ها هو الموعد لهيف يرقب الوعد
تذكر فيك عهد الرو ح بين غصونه الميّد
لهيف ضارع ثمل فلو ملك القوى غرد
أغار عليك من نفسي وأرحمه لذكراك

***

سمعتك في خرير الما ء جاز الصخر مندفعا
وفي أنشودة الطير على هام الربى سجعا
وفي إطراقة الكون إذا ما الكون قد هجعا
فابك في دمى لحن يهدهد قلبي الشاكي

***

رأيتك في طيوف الفجـــر في أندائه السكرى
تزفرف حولك الآما ل والأفراح والبشرى
وفي خطراني الشبوبة المذعورة الحيرى
فهل في ليلتي هـــذي ترى عيني محياك

محمد محمد علي السوداني